آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة التاسعة عشرة، العدد الأول، الربيع و الصيف ١٤٣٧ هـ .ق، ٤٩-٦٩

الفكاهة السياسيّة في أشعار أحمد فؤاد نجم
دراسة وتحليل

تورج زيني‌وند*

جهانگير أميري، مريم ياوري*****

الملخص

يُعدّ الشاعر السياسي أحمد فؤاد نجم من أبرز شعراء الفكاهة في مصر. اكتسبت فكاهته ثوباً سياسياً واجتماعياً حيث وظّفها كبوقٍ أعلن من خلاله عن مواقفه الصارمة والصلبة حيال الأنظمة العربية الفاشلة بنبرةٍ صارخة حتّى اشتهر في الأوساط الأدبية بشاعر السياسة. تمتاز فكاهة أحمد فؤاد نجم اللّاذعة بميزتين أساسيتين: أوّلاً من حيث الدلالة أنّها تحمل في طياتها معاني ثورية تندّد بالأنظمة السياسيّة والاجتماعية في العالم العربي. ثانياً ومن حيث الصياغة فإنّها صيغت بلغة نارية ولهجة شديدة عارمة تنقضّ على الأنظمة التي خانت قضايا الشعوب العربيّة كالصاعقة. إنّ الموضوعات الّتي تناولتها سخرية أحمد فؤاد هي: نقد الأوضاع الاجتماعية والحكومات العربية وعمّالها ورجال الحكم والسياسة وذمّ التدخل الأجنبي في الشؤون العربية ونقد الظروف السياسية والاقتصادية المتردّية والحثّ على مقارعة الظلم ومكافحة الظّالمين. يرمي هذا المقال إلى دراسة وتحليل الفكاهة السياسية للشاعر المصري أحمد فؤاد نجم بالاعتماد على منهج الوصفي ـ التحليلي

---

* أستاذ مشارک في قسم اللغة العربية و آدابها، بجامعة رازي (الكاتب المسؤول)، T_zinivand56@yahoo.com
** أستاذ مشارک في قسم اللغة العربية و آدابها، بجامعة رازي، gaamiri686@gmail.com
*** ماجستيرة في فرع اللغة العربية و آدابها، بجامعة رازي، maryamyavari20@yahoo.com
تاريخ الوصول: ١٣٩٥/٢/١٢، تاريخ القبول: ١٣٩٥/٤/١٣

مستخدماً الأساليب العلمية ومناهج البحث المتّبعة في الموضوعات الأدبية. ومن أهمّ النتائج التي تفيدها هذه الدراسة هي أنّ أحمد فؤاد نجم وظّف الفكاهة لنقد الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تحكم الساحة المصرية وتستهدف تحسين ظروف حياة الشعب المصري ونيل الحقوق والحريات المدنية في ظلّ دولة ديمقراطية تحترم حقوق الأفراد والشعب ولذلک سمّي بشاعر السياسة والفكاهة المريرة.

الكلمات الرئيسة: الشعر السياسي، الفكاهة المريرة، الفكاهة المقلوبة، أحمد فؤاد نجم.

١. المقدمة

قسّم الأدباء الفكاهة بحسب المقاييس والمعايير الّتي تختلف باختلاف آراءهم و رؤاهم في الفكاهة. فإنّه قُسّم من حيث الموضوع إلى ثلاثة أقسام (أميري، ١٣٩١: ٢٤) الاجتماعية والساسية والترفيهية وقد نوّه بعض الأدباء في آثاره إلى الفكاهة المريرة أو السوداء قاصداً بها الفكاهة التي ينقد فيها الشاعر القضايا السياسية والاجتماعية أو الشخصيات التي تحتكّ بواقع حياة الشعوب والجماهير. والسبّب في تسمية هذا اللون من الفكاهة ربّما يكمن في احتوائه على دلالات ومعان مضحكة وساخرة في ظاهرها ولاذعة وقاسية في باطنها. وينبغي الإشارة إلى أنّ ثمّة فكاهة سميت بالمقلوبة نظراً إلى أنّها صُمّمت بحيث تدّل في ظاهرها على غيرما تدّل عليه في حقيقتها (الحوفي، ١٩٦٦: ٧٧). وجدنا لفكاهة أحمد فؤاد نماذج متعدّدة ومنوّعة من الفكاهة المريرة والمقلوبة قمنا بدراستها وتحليلها خلال مقالنا هذا. والديناميكية الّتي تتمتّع بها الفكاهة السياسية أعطتها قدرة هائلة لمواكبة الأحداث السياسية والاجتماعية وتطوير مسارها. ولذلک استخدم الشعراء العرب المعاصرون هذا الفن كتقنية شعرية يستمدّون منها للإدلاء بآرائهم فيما يتعلق بالحياة السياسية والاجتماعية للشعوب العربية.

الفكاهة علاوةً عن الابتسامة التي تغرسها على شفاه السامعين تفتح أمامهم نافذة يطلّون منها على القضايا الهامة التي تجري على الساحة. من هذا المنطلق يجب القول إنّ الغاية التي يتوخّاها شاعر الفكاهة هي تنمية وعي الجماهير واستنهاض الهمم أمام الظلم

والإطاحة بالأنظمة الطاغية. وليس الضحك في السخرية سوى أداة ترفيهية تقلّص من حدّة النقد وتقلّل من لذعته فهو أشبه ما يكون بالشهد الذي يمزجه الطبيب بالدواء المُرّ لكي يحدّ من مرارته في مذاق المريض. من الملفت للانتباه أنّ أحمد فؤاد خاطب في أشعاره الساخرة الأنظمة السائدة أكثر ممّا خاطب بها أبناء الشعب والسبّب في ذلك ربما يعود إلى أنه توصّل خلال تجربته السياسية إلى القناعة بأن الأنظمة الاستبدادية هي الّتي تُسبّب تخلّف البلاد ومعاناة شعوبها فبناء على ذلك لابدّ لتحسين الأمور من استئصال شأفة الجبابرة والأنظمة الاستبدادية.

الفكاهة المريرة حسبما عرّفها البعض عبارةً عن: الشعر الذي يعكس السلوكيات المنحرفة والأخلاق الذميمة والأخطاء الفادحة والمفاسد المتفشّية في البلاد بأسلوب يعتمد على الكناية والسخرية (ضيف، ١٩٩١: ١٩١).

يرى قزيحة أنّ الغاية التي يجب أن يرسمها شاعر السخرية لنفسه هي السعي جاهدا لتقوية المثل وتعميق القيم ممّا يقود الفرد والمجتمع نحو المُثل العليا ومدينة الأحلام كما يعتقد أنّ الهدف الذي ينشده شاعر الفكاهة ليس التنفيس أو الإضحاك بل إنّه في كثير من الأحيان يهدف إلى «تجسيد الظروف الاجتماعية والسّياسية التي يعيشها الشاعر ومن ثمّ التحريض على تصحيح المسارات الخاطئة في الحكم والسياسات الظالمة في البلاد» (قزيحة، ١٤١٨: ٣٩٥). وفي السياق نفسه يجب القول إنّ السّخرية هي محاولة أدبية للتعبير عن آلام المجتمع من الفقر والفاقة والمصائب التي يعاني منها أبناء الشعب بلغة يصحبها نقد مرير وعتاب شديد في أجواء مشحونة بالظرف والسخرية (أميري، ٢٠١٥: ٧٨). نبّه أحمد فؤاد في قصائده الفكاهية الشعب المصري إلى التحديات التي تهدّد البلاد من داخلها وخارجها ومن أهمّها: نشوب الحرب وتدخّل الأجانب وتوغّل نفوذ الاستعمار فيها وتبعية رجال السياسة للغرب وتغلغل النفوذ الصهيوني في نفوس زعماء العرب وغيرها من العوامل والأسباب التي تركت بصماتها في أشعار أحمد فؤاد نجم وأعطتها صبغة سياسية واجتماعية.

من هذا المنطلق نريد من خلال هذا البحث المتواضع التوصل إلى الإجابة عن السؤال التالي بالإضافة إلى أنّ المؤلفين لهذا المقال طالعوا الأعمال الشعرية الكاملة لأحمد فؤاد لاختيار نماذج منوّعة من فكاهته السياسية الّتي تتلائم مع سياق البحث.

ما هي أهمّ المضامين الفكاهية في أشعار أحمد فؤاد نجم؟

والفرضية الّتي يتمحور حولها هذا البحث والّتي نحاول إثباتها عبر هذا المقال هـي: أنّ الشاعر أحمد فؤاد استلهم مواضيع فكاهته من الأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية الجارية على الساحة المصرية والغاية القصوى الّتي يتوخّاها وراء الفكاهة السياسية هي تنوير العقول وتوعية الأفكار وإقناع الرأي العام المصري للنهوض بأعباء الثّورة الّتي تؤدّي إلى الإطاحة بالأنظمة الدّكتاتورية في مصر.

٢. خلفية البحث

مهما بحثنا في المصادر والمراجع لم نعثر على معلومات تفيدنا حول الفكاهة في أشعار أحمد فؤاد إلّا نذر يسير لا يسمن ولا يغني من جوع. والمصدر الوحيد الذي عوّلنا عليه لإعداد هذه الدراسة إنّما هو ديوان الشاعر المشتمل على معظم أعماله الشعرية التي تفوح منها رائحة الصمود والمقاومة. والمصادر التي اعتمدناها في هذا البحث تدور معظمها حول الفكاهة والأدب المقاوم بصورة عامّة من أهمّها:

الف) الكتب: *الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها* لأحمد محمد الحوفي، *الفكاهة في الشعر التونسي* لحمادي التميمي، *الفكاهة في الأدب الأندلس* لقريحة رياض، *الفكاهة والسخرية في الشعر المصري* لوئام أنس. يُذكر أنّ الكتب السابقة لم تتطرق إلى شاعرنا أحمد فؤاد حياته وشعره ولكنّها أعطتنا معلومات هامّة حول الفكاهة وأنواعها ودورها في الحياة استقينا منها بما يروي غليلنا.

ب) الأطروحة: «جلوه‌هاى ادب و پايدارى در شعر أحمد فؤاد نجم» (مهر ١٣٩٢) لمؤلّفها مريم ياوري جامعة رازي، ركّزت الباحثة في أطروحتها هذه على الأشعار التي تدخل في نطاق المقاومة دون أن تهتمّ بالجانب الفكاهي لأشعار الشاعر. إلّا أنّها تعدّ ركيزة أساسية من ركائز مقالنا هذا.

ج) المقالات: «طنز تلخ در شعر پايدارى فلسطين» لتورج زينى‌وند *فصل‌نامه نقد ادب*

معاصر، صص ٧٧-٩٩، «شيوه‌هاى كاربرد طنز در تصاوير فكاهى أحمد مطر» ليحيى معروف *مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها*، صص ٥٤-٦٣، «طنز در شعر معاصر عرب» لإلهام باقريان بستان‌آباد (١٣٨٧)، *فصل‌نامه ادبيات فارسى*، صص ١٢٧-١٤٤.

في الحقيقة أنّ المقالات التي ذكرناها توّاً تحمل في طياتها أبحاث مفيدة ممتعة فيما يتعلّق بالفكاهة في الأدب العربي لكنّها مع ذلک لا تمتّ إلى موضوعنا بصلةٍ إلّا أنّنا ارتوينا من منهلها العذب مع شكرنا الجزيل للجهود التي بذلها مؤلّفوها مشكورين.

٣. لمحة من حياة أحمد فؤاد نجم

قبل أن ندخل في صميم الموضوع رأينا أنّه من المفيد أن نستعرض نبذة من حياة الشاعر علماً بأنّ حياة الشاعر السياسية والاجتماعية لها دور هامٌ في تشكيل رؤاه الأدبية وأساليبه الفنية. ولذلک شعرنا أنّه من الضروري أن نذكر أهمّ المواقف السياسية والاجتماعية المؤثّرة على شعره. أضف إلى ذلک أنّه مازال شاعراً غيرمعروف في بلدنا إيران. كما ذكرنا أنّ أحمد فؤاد نجم من كبار شعراء المقاومة في مصر. انحدر أحمد فؤاد من أسرة مصرية عريقة لكنّه نشأ يتيماً حيث فقد أباه وهو في السادسة من عمره فتولّى رعايته خاله لكن سرعان ما تخلّى عن حضانته وسلّمه إلى دار الأيتام. حيث تعرّف هناك على عبدالحليم حافظ.[١] ترك نجم دارالأيتام لمّا بلغ السابعة عشرة عائداً إلى مسقط رأسه مصر. عمل راعياً للمواشي برهة ثمّ التحق بالجيش البريطاني. فأتيح له في الجيش أن يعمل في المطبعة ممّا شكّل منعطفاً هاماً في حياته.فإنّه تعلّم في ثكنة الجيش مهارة القراءة والكتابة التي حرم منها منذ طفولته. انشغل أحمد فؤاد بعد ذلك في مجالات عمل مختلفة. شهد من خلالها آلام الناس ومعاناتهم عن كثب وقد حملته روح العزة والأنفة على حماية الشعوب المضطهدة و دعمها دون أن يخاف ممّا يلقاه في سبيل ذلك من المتاعب والمضايق وقد أدّى به الأمر إلى أن زجّ به في السّجن بتهمة مفتعلة ثلاثة أعوام. عندما كان يقضي عامه الأخير في السجن شارك في مسابقة أدبيّة أقامتها إدارة السّجن بين السجناء فحاز أحمد فؤاد على جائزة المسابقة. فتح هذا الفوز في حياته أفقاً جديداً وشجّعه على أن يعمل ديوانه الأول ويقوم بنشره تحت

عنوان (صور من الحياة والسجن) وقد وضع سهير القلماوي على ديوانه مقدمة جلبت له صيتاً ذائعاً واشتهاراً واسعاً.

فلمّا خرج أحمد فؤاد نجم من السّجن عام ١٩٦٢ أصبح صرخة عالية لشعبه في ميدان المقاومة وصارت أشعاره تتردّد على الألسنة كأنشودة من أناشيد الثورة. في هذه الأثناء تعرّف الشاعر على الشيخ إمام عيسى و هو آنذاك من أبرز مغنّي الثورة المصرية الّذي سُجن أكثر من مرةً لأغنياته الثورية.

توطّدت علاقة الصداقة بينهما حتّى شكّلا ثُنائياً ناجحاً فكان الشاعر يعطي الفنّانَ كلماته والفنّان يحوّلها إلى أغاني ثورية يلهب بها مشاعر الغضب والاستياء ضدّ الحكام. الشراكة التي نشأت بين أحمد فؤاد و إمام عيسى المغني أحدثت ثورة رهيبة في الغناء المصري و موسيقى المقاومة دوّت شهرتها في الآفاق و جرت أغانيهما الثورية في الأفواه. ولكنّ الأنظمة المصرية حظرت بثّ ونشر أعمالهما الثورية في وسائل الإعلام الحكومية (http://ar.wikipedia.org).

إلّا أنّ المضايقات الحكومية الّتي واجهها الشاعر لم تثن عَزمه و لم تُبرد حماسه بل زادت قدراته و كثّفت جهوده للمضّي قدماً نحو أهدافه المنشودة.

انتقد أحمد فؤاد نجم الحكومة المصرية في أشعاره مراراً وتكراراً ممّا أدّى إلى وقوعه في السجن. الانتقادات اللّاذعة الّتي وجّهها أحمد فؤاد إلى النظام المصري جعلت منه بطلاً شعبياً حتّى أصبح صوت الطبقات الكادحة. ظلّ أحمد فؤاد منذ انخراطه في سلك الجيش في زمن عبدالناصر وحتّى زمن حسني مبارك ناقداً للكيان المصري نقداً مريراً. وقد لقيت قصائده التي نُشرت على مواقع الإنترنت وقنوات التواصل الاجتماعي ترحيباً حارّاً من قبل جماهير الشعب. ممّا أجّج رغبة أطياف الشعب في أشعاره أنّها تهتمّ بقضايا سياسية واجتماعية واقتصادية وأنّها تسخر من كيان مبارك الدكتاتوري. وصف أحمد فؤاد الرئيس جمال عبدالناصر بأنّه الزعيم الأخير للشعب المصري وخادمه رغم أنّه اُعتقل وسُجن في عصره. وقد تحدّث الشاعر بهذا الصدد قائلاً: «كَوني سجيناً في عهد عبدالناصر لا يعني أنّه لم يكن قائداً شعبياً مادامت المشكلة لم تأت من ناحيته بل جاءت المشكلة من قبل الرهط الذي أحاطه فأحدث هوّة عميقة بين الرئيس وشعبه» (نجم، ٢٠٠٨: ١٥).

حسبما أفاده وكالة فارس للأنباء (توانا) أنّ أحمد فؤاد، وصف حسني مبارك في إحدى خطاباته النّاريّه برأس العصابة بدل أن يدعوه بالرئيس قائلاً: «إنّ ما قام به حسني مبارك منذ انتفاضة الشعب لإنقاذ السلطه الحاكمة في مصر لم تكن محاولة ناجحة إلّا أنّه تمكّن من إنقاذ الحكومة المصرية» (ياوري، ١٣٩٢: ٧٨). كمّا صرّح مهدداً ناهبي ثروات مصر بأنّ «الشعب المصري لن يقف عن ملاحقتهم حتّى لو هربوا خارج البلاد» (المصدر نفسه). ثمّ وصف تداول السلطة في مصر بأنّه لعبة صبيانية وتلاعبٌ بالعقول معلناً «أنّ الشعب المصري سيظلّ حيّاً على صفحة العالم وسيجعل الشّعب الفلسطيني حيّاً مادامت السموات والأرض» (www.khabaryaab.com).

لقد استغلّ أحمد فؤاد نجم لغة الفكاهة كآلية تعبيرية في شعره ينتقد فيها الأوضاع الاجتماعية ورجال الحكم والسياسة بأدب ساخر يرمي فيه إلي إصلاح السياسات الفاسدة والاتّجاهات الخاطئة. مما يؤسف له بينما كنّا نسطّر هذه السطور أعلنت وسائل الإعلام العربية وفاة الشاعر أحمد فؤاد عن عمر يناهر ٨٤ عاماً. كان النبأ قصيراً ولكن كانوقعه ثقيلا جدّاً إذ كان أحمد فؤاد رمزاً للنضّال والكفاح ليس فقط في مصر بل في العالم العربي كلّه فإنّه شاعر الشعوب المقهورة وشعره شعر الحياة والطموح.كان يحلم بالمجتمع السّعيد الّذي يتمتّع بالحرية وحقّ التعبير والحياة الكريمة في ظلّ أنظمة حرّة ديموقراطية تحترم حقوقَ الشّعب ومصالحه. والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

٤. الفكاهة ودورها في الحياة السياسية والاجتماعية

وجدنا لفكاهة أحمد فؤاد نماذج متعدّدة ومنوّعة من الفكاهة المريرة والمقلوبة ثمّ قمنا بدراستها وتحليلها خلال مقالنا هذا. إذا اعتبرنا لغة الشعر أداة صالحة لتجسيد معاناة المجتمع وآلامه و مأساته فبإمكاننا اعتبار لغة الفكاهة الشعرية أفضل آلية للتخفيف من أوجاع الشعب وتهدئة مشاعره المكبوتة. الفكاهة فضلاً عن الابتسامة التي تغرسها على شفاه السامعين تفتح أمامهم نافذة يطلّون منها على القضايا الهامة التي تجري على الساحة. من هذا المنطلق يجب أن نقول إنّ الغاية التي يصبو إليها شاعر الفكاهة هي استزادة وعي

الجماهير واستنهاض الهمم أمام الظلم والإطاحة بالأنظمة الطاغية. ولـــيس الضـــحك في السخرية سوى أداة ترفيهية تقلّص من حدّة النقد وتقلّل من لذعته فهو أشبه مـــا يكـــون بالشهد الذي يمزجه الطبيب بالدواء المُرّ لكي يحدّمن مرارته في مذاق المريض. من الملفـــت للانتباه أنّ أحمد فؤاد خاطب في أشعاره الساخرة الأنظمة السائدة أكثر ممّا خاطب بها أبناء الشعب والسبّب في ذلك ربما يكمن فيأنّه توصّل خلال تجربته السياسية إلى القناعة بـــأن الأنظمة الاستبدادية هي التيتقف وراء تخلّف البلاد ومعاناة شعوبها فعلى ذلك لابدّ لتحسين الأمور من القضاء على الأنظمة الفاسدة واستئصال شأفتها.

أفصح أحمد فؤاد في أشعاره عن التحديات التي تهدّد البلد من داخله وخارجـــه ومن أهمّها: نشوب الحرب وتدخّل الأجانب و توغّل نفوذ الاستعمار في داخل البلد وتبعية رجال السياسة للغرب وتغلغل النفوذ الصهيوني في نفوس زعماء العرب وغيرها من العوامل والأسباب التي تركت بصماتها في أشعار أحمد فؤاد نجم وأعطتها صـــبغة سياسية واجتماعية.

سبق أن قلنا إنّ ما دفع أحمد فؤاد إلى استخدام لغة السخرية هو التنويه إلى ما يجري في بلده مصر في زمنه. امتعض شاعرنا ممّا شهده من آلام ومحن في مجتمعه لكنّه لم يقف موقف المتفرّج إزاء المآسي التي حلّت بالبلد، بل دخل معترك الصراع شاهراً سلاح الفكاهة المريرة رافعاً لواء الإصلاح للظروف الرهيبة التي خيّمت على مصر.

أحسّ شاعرنا بما أُوتي من مواهب جلية وعبقريّة متفتحة بالتحدّيات والمخاطر الـــتي تحدقبا لمجتمع البشري. فحمل هذا الشاعر الرسالي على عاتقه مهمة البنـــاء والإصـــلاح ووجّه نبال نقده صوب كلّ من تقع على كاهله مسؤولية عن معاناة المجتمع. و لم يكـــن سلاحه سوى الكلمة التي قد تكون أمضى وأنفذ من السيف. آخذاً بعين الاعتبار أنّ أول خطوة يقطعها الشاعر في مشواره الأدبيه و التنويه إلى الحواجز والعراقيل التي اعترضت طريق النضال، فلذا أهوى شاعرنا بسياط فكاهته المريرة على الأنظمة المجرمة الّتي سلبت حرية الشعوب وحقوقها. إذ كما قال البعض «إنّ أعظم مصيبة هي الـــتي تُضـــحك» (التميمي، د.ت: ٩٥).

٥. نظرة تحليلية لفكاهة أحمد فؤاد نجم

لم تكن السخرية لدى أحمد فؤاد وسيلة للتسلية أو المتعة، بل كانت عنده آليـــة تعبيريـــة موحية عبّر بها عن مواقفه السياسية والاجتماعية و يمكن اعتباره ناجحاً إلى حدّ كـــبير في نهجه الأدبيحيث إنّه تمكّن من إبداع فكاهة تتمتّع بقدرة إيحائية هائلة. نستعرض فيما يلـــي أبرز المضامين الواردة في أشعار أحمد فؤاد الفكاهيةبادئين بـــ:

١.٥ نقد الأوضاع الاجتماعية

استحوذت على المجتمع المصري في عصر أحمد فؤاد نجم، حالة من الاستبداد والظلم فبينما كان يعاني في الداخل من الأزمات والصّراعات الحادة يخضع لنفوذ الأجانـــب والقـــوى الكبرى من الخارج أيضاً ممّا ألقى بظلاله على المجتمع المصري بشكل واضح. تتّسم فكاهة أحمد فؤاد نجم بالذّكاء والدّهاء وتحوم حولها حالةٌ من الرمزية والغموض فإنّهـــا تضـــحك المخاطب من جهة وتضعه في صورة ما يجري في المجتمع المصري من جهة أخرى.

خذ قصيدة «الغابة» للشاعر مثلاً فإنّه كما يبدو من عنوانها شبّه البيئة المصرية بالغابـــة التي ملأت الذئاب والوحوش المفترسة أرجائها والقصيدة قالها الشاعر بلهجة مصرية:

> هِم هِم هِم/ غابةكلابها ذئاب/ راحت تمزّق النّاس/ راحتتأكل النّاس/ كما تأكل الأنعام/ في لمحة بصر ... تلتهم/ هم هم هم/ الخرافالّتي تغيب عن جحرها/ أضـــحت القـــوت الدّسم/ تضريها الوحوش عن وراء ظهرها/ وتقطعها إرباً إرباً/ غابةتؤكل فيها اللحوم/ غابةتشرب فيها الدماء (نجم، ٢٠٠٨: ٢٣).

من الملاحظ في المقطع السابق أنّ الشاعر نظر إلى المجتمع نظرة سلبية تشاؤمية، واصـــفاً إيّاه بالغابة التي تحوّلت كلابها ذئاباً شرسة تفترس بني نوعها وتستضري فيهـــا الحيوانـــات القوية على الضعاف دون رحمة ولا إشفاق. الفكرة الّتي تحملها كلمات الشاعر في طياتهـــا أنّها في المجتمع المصري تُهضم الحقوق و تُسلب الأموال و تُقمع الحرّيات وتُعامـــل أبنـــاء المجتمع وكأنّهم قطعان من البقر والغنم. والحيوان الذي تحدّث عنه الشاعر لـــيس حيوانـــاً حقيقياً يملك الأنياب والمخالب بل هو إنسان بات يتصرف. كالذئب الذي يغتال فريسته

على حين غفلة منها. والرسالة التي يوصلها الشاعر إلى المخاطب هي أن يتحلّى بالوعي واليقظة وأن يكون على بصيرة من أمره حتى لا يصبح وجبة دسمةللذئاب التي تحمل صورة إنسانية. ولا يستبعد أن ترمز كلمة الذئاب إلى الحكّام الظّالمين الّذين يمثّلون الأنظمة السياسية في المجتمع المصري. ممّا يثير الانتباه في القصيدة أنّ الشاعر افتتحها بـ «هم هم هم» وهي كما تبدو أصوات تعيد إلى الأذهان الصوت الّذي يُسمع أثناء التهام الذئب لفريسته في نهم وجشع. ممّا زاد من جمالية هذه المقدمة أنّها تتكيّف مع الفكرة الرئيسية الّتي تستوعبها القصيدة ألا وهي قسوة الحكومة على رعاياها. ومن أبرز الجماليات الدّلالية الّتي تحملها القصيدة هي أنّ تحوّل الكلاب إلى الذئاب ربّما يرمز إلى أنّ الأنظمة العربية الّتي يجب أن تدافع عن الشعوب، كما تواظب الكلاب على المواشي، باتت وكأنّها ذئاب شرسة تقطع فريستها إرباً إرباً. فطالما تتصرّف الحكومة كالذئب الجشع يجب على الشعب أن يكون على بصيرة من أمره حتّى لا يقع فريسة في براثنها المفترسة. أردف الشاعر قائلاً:

هِم هِم هِم/ غابة كلابها ذئاب/ راحت تمزّق النّاس/ غابةتسودها وحوش/ لا نابٌ لها ولا مخلب/ بل فم يتكلّم/ وأسنان تضري/ هِم هِم هِم/ ولسان يُغري/ ظلّ أبناء الغابة/ ضائعين/ وسط الذئاب/ ثرثارين/ راضين/ مرتاحين/ مشغولين/ دون حِراك/ ولا اعتراض/ هِم هِم هِم (المصدر نفسه: ٢٤).

مازال الشاعر يتحدّث عن الكلاب المستذئبة التي تعتدي على النّاس. يتحدّث عن الغابة التي يعيش أهلها حياة البؤس والشقاء. وقد افتتح الشاعر القصيدة بالأصوات ذاتها الّتي تدّل على صوت تناول الوحوش لوجبتها بنهم وجشع (هم هم هم) ومن الواضح أنّ هذه الأصوات يمكن اعتبارها جمالية موسيقية توفّر الأجواء للحديث حول الغابة. الغابة الّتي ليس لوحوشها أنياب مكشّرة ولا براثن ممزّقة إذ إنّها إنسان خِلقةً ولكنّها باتت تتصرّف وكأنّها وحوش ضارية. ينتقد الشاعر بلغة ساخرة الشعب المصري البائس الذي لا يفعل شيئاً للتخلص من أوضاعه المأساوية سوى الاعتماد على الثرثرة وإلقاء محاضرات حماسية بلغة نارية. والغريب في الشعب المصري أنّهلم يعد يشعر بخطر الذئاب في وسطه. ولذلک وقف مكتوفة الأيدي لايأبه بها. عذره في ذلک أنّه ليس لديه الوقت الكافي للتصدّي للذئاب! والسخرية تبلغ ذروتها عندما يبرّر الشاعر تخلي الشعب عن القيام في وجه الذئاب

بأنّه لايملك بما فيه الكفاية من الوقت لمكافحة الوحوش فأخذ الضّعف والاستكانة من نفسه كلّ مأخذ بدرجة أنّه تراجعن مواجهة الذئاب بالتماسك والتضامن ورصّ الصفوف.

وممّا يقوّي هذه السخرية ويُبلغها ذروتها أنّ الشاعر أعقبها بلفظة «ها ها ها» مكـــرّرة تخلق صوتاً أشبه ما يكون بصوت قهقهة الضحک فكأنّ الشاعر يضحک على شعبه الّذي يتحدّث عن رفض الظلم والشجاعة بملء شدقيه ولكنّه يرضى بحياة الذّل و الخنوع في ظلّ الطواغيت الجبابرة.

٢.٥ نقد الظروف المعيشية

الظّروف المعيشية الصعبة والأوضاع المأساوية التي سادت على العالم العربي أثناء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شغلت بال الشاعر واستأثرت بمواهبه الشعرية حتّـــى أصـــبحت الأحوال العصيبة التي مني بها المجتمع العربي الهاجس الأول لدى الشاعر حيث أخذعلى عاتقه مواجهة المشاكل الاجتماعية بآلية الشعر. «فأتاحت الظروف المستجدة المجال الواسع لدخول الأدب في معترك الحياة واحتكاك الشعر بالواقع المعاش» (الورقي، ١٩٨٤: ٢٣٢).

السياسات الاقتصادية المنفتحة التي مارستها حكومة سادات أثارت موجة عارمة مـــن الاحتجاج والغضب الشعبي على الساحة المصرية. قام سادات لاحتواء الحـــراك الشـــعبي وامتصاص غضب الشارع بتوسيع مساحة الحريات السياسية الّـــتي منعتـــها الحكومـــات السابقة عبر السنين تدريجياً.

مشاريع سادات الاقتصادية أسفرت عن تزايد حالة التوتّر وتعميق الهوة بين الأغنيـــاء والفقراء بحيث لم يعد الشعب المصري يستطيع الحصول على لقمة العيش فنظم أحمد فؤاد نجم قصيدة هزلية أدان من خلالها البرامج التي نفّذها دولة سادات:

> عن موضوع الفول و اللّحم/ صرّح مصدر/ قال مسؤول/ إنّ الطّـــبّ تقـــدّم جـــدّا/ والدّكتور محسن يقول/ إنّ الشّعب المصري خصوصاً/ من مصلحته أكل الفول/ حيـــث الفول المصري عموماً/ يجعل من بني آدم غول/ ويزيد الأعمـــار/ والـــبروتئين يرفـــع الكولوسترول/ ويجلب ضغط الدّم/ والدّكتور محسن مسؤول/ وأمّا الفول فإنّه يعطـــي

قوة/ ويسمن جداً/ ثمّ أضاف الدّكتور محسن/ إنّ اللّحم يحوي على السّموم/ ويُكسب أوجاع المعدة/ ويقصر الأعمار/ والّذين يأكلون اللّحم عموماً/ يدخلون جهنّم أبداً/ يا دكتور محسن يا مراوغ/ يا مخادع/ يا مكّار/ يا من تعتبر نفسك عقل العالم/ والعالم بحاجةٍ لعقلك/ ما رأي جنابك/ أن نموت نحن باللّحم وتعيش أنت بالفول/ ما رأيك يا كابتن محسن/ لعمرك هذا جدّ كلام معقول (نجم، ٢٠٠٨: ٤٥٣).

استخدم الشاعر الفول واللحم كمادة دسمة استمدّ منها لخلق قصيدته الساخرة مثلما نلاحظ في المقتطف السابق. حاول أحمد فؤاد عبر فكاهته إعطاء صورة واضحة صادقة عن معاناة الشعب المصري الذي بلغت مأساته حدّاً لا يستطيع أكل الفول واللحم في قوته اليومي.

ومما يبعث على الضحك والسخرية في القصيدة أنّ الحكومة المصرية المتمثّلة بالدكتور محسن تحثّ الشعب على أكل الفول وتجنّبِ اللحم في الوقت الذي لا يجد فيه الشعب لقمة الخبز التي يسدّ بها جوعه. يُذكر أنّ الفول كان يعدّ قوت الفقراء وذوي دخل محدود ولكن ارتفع سعره وبلغ حدّا لا تستطيع شراءه الطبقات الفقيرة وممّا يدعو إلى السخرية أنّ الحكومة المصرية تحضّ الشعب على أكل الفول وتفادي اللّحوم بحجة أنّها تضرّ بالجسم وتسبّب ضغط الدم وارتفاع نسبة الكولوسترول في الجسم والعقم. تأتي توصية الحكومة بعدم تناول اللحوم في وقت لا يقدر فيه المصريون على تناول الفول فما باللحوم الّتي أصبحت حلما يراود الفقراء. واختتم الشاعر فكاهته بنكتة ظريفة تعتبر ردّاً حاسماً وحجّةً دامغةً على الحكومة المصرية التي تجرح مشاعر المصريين وتسيئ إلى كرامتهم بطريقة أو أخرى. يخاطب شاعرنا الدكتور محسن الّذي يمثّل الحكومة المصرية ويقول له بنبرة ساخرة أنت بإمكانك أن تأكل الفول وتعيش لكن نحن الشعب المصري نفضّل أن نتناول اللحم ونموت.

٣.٥ الطعن بالجنود وعمّال الحكومة

لقد احتلّت القضايا السياسية والاجتماعية حيزاً كبيراً من فكاهة أحمد فؤاد المريرة. فصوّر الشاعر بعدسة شعره ما كان يلمسه في الحكومة المصرية من حماقات و هزائم وإخفاقات. يجب أن لا ننسى أنّ أشعار أحمد فؤاد الساخرة لم تنحصر فيما يتعلّق بأوضاع مصر المتوترة

بل تتعدّاها لتطال أيضاً الجوانب الأخرى من الحياة العربية فعلى سبيل المثال ولا الحصر يتحدث الشاعر أحمد فؤاد في إحدى قصائده عن حرب الأيام الستة التي هُزمت إثرها الدّول العربية هزيمة نكراء أفضت إليغصب الأموال واحتلال الأراضي المصرية كما أشار فيها إلى فشل وعجز الجيش المصري في مقارعة الصهاينة إليك أبيات من القصيدة:

يا أهل مصر المحميّه/ بالحراميّه/ الفول كثير والطّعام متوفّر/ والبُرّ متواجد/ و .../ و لم يمت منّا بعدُ مليون/ أو كلّ الكَون/ العمر أصلا ليس مضموناً/ والأعمار بيد اللّه/ الحمدُللّه/ قد نسينا الهزيمة في سينا/ ضاع شعبنا كلّه في سينا/ لكن يكفينا إنّنا نحن الثّوار/ ولا حول ولا قوّة/ دولة مصر عريقة في الكذب/ يكفينا أنّ أسيادنا يعيشون سعداء/ طالما يملأ الشعب معدته بالفول/ ويقول الأشعار/ يمجّد فيها الثّوار وحتّى الأشرار (المصدر نفسه: ٢١٩).

يعطينا النص الشعري السابق الذي نسجه أحمد فؤاد نجم على منوال التهكم المقلوب دلالات فكاهية طافحة تتناغم مع أجواء السخرية والازدراء بالقادة العرب الفاشلين في الحرب ضد الكيان الغاصب. فكما نرى في الأبيات السابقة يشكر شاعرنا الله عزّ وجلّ على ما أسبغه على الشعب المصري من نعم الانتصار والعيش الرغيد ووجود القادة الشجعان الذين يحقّقون لهم العزّة و الكرامة ويوفّرون لهم الأمن والسّلام. ولا يخفي أنّ شاعرنا يقول ذلكعلى سبيل التّهكم والاستهزاء إذ أنّ الحقيقة على أرض الواقع هي شيء آخر وهو عبارة عن الإخفاق والهزيمة والنكسة والخذلان للشعب المصري. والسخرية تكمن في هذه الازدواجية والمفارقة الجميلة التي تدغدغ الذوق الفكاهي لدى المخاطبين. بلغت الفكاهة ذروتها في المقطع الشعري السابق حيث يمدح شاعرنا ربّه على أنّه رزق الشعب حكومة تحكم بالأكاذيب والخِدع مهنّئاً أبناء شعبه أنّهم تحت حماية وحراسة الحراميين واللصوص وأنّ البلد ماضٍ نحو الفخر والازدهار ويقصد بالحراميين طبعاً الطغمة الحاكمة التي نهبت أموال الشعب وسلبت خيرات البلاد ثمّ يشكر اللّه ولهجته مازالت ساخرةً على أنّ عدد الّذين ماتوا جرّاء الحروب والأوبئة والقحط المميت لم يبلغ الملايين. معتبراً هلاک من راحوا ضحية الحرب والجوع مشيئة اللّه الجارية وإرادته النافذة مؤكّداً أنّ الأعمار بيد اللّه وليس لفساد الحكومة وعجزها وفشلها في الدفاع عن الرعية أمام المصائب

دخلٌ في سقوط الموتى! ومن الواضح أنّ الفكاهة في اللقطة الشعرية السابقة تدخل في سياق الفكاهة المقلوبة.

ممّا يشدّ الانتباه أنّ الشاعر في الأبيات السابقة يتحدّث وبلغة ساخرة عن الهزيمة التي حلّت بالدول العربية في غضون الحرب مع الكيان الغاصب الصهيوني فالشاعر تطرّق إلى ضياع الشعب المصري ومأساته مع الحكّام المنهمكين في الكذب والتّضليل. ومن المضحك أنّ الشاعر يصف الشعوب العربيّة وعلى سبيل الفكاهة المقلوبة بأنّها قوم أحرار وأسيادهم جماعة ثورية ثم يحمدالله على هذه النِّعم التي أولاها اللهُ للعرب! وفي السياق ذاته ألقى أحمد فؤاد نجم اللّوم على الأنظمة العربية وجنودها موجّهاً إليها سهام السخرية؛ إذ أنّهم سلّموا أراضيهم للأعداء بعد أن لاذوا بالفرار. لم يسلم الشعب العربي من عتاب الشاعر أيضاً طالما ظلّ مكتوفة الأيدي لا يحرّک ساكناً وفي كلمات الشاعر تلميح لطيف إلى وجود هوة عميقة بين الطبقات الكادحة من الشعب ورجال الحكومة فبينما يسدّ الشعب جوعه بالفول يتنعّم القادة المصريون بما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين. نستنتج من القصيدة أن الشاعر يحمل الحكومة المصرية مسئولية انهيار الشعب حالما ليست قادرة على القيام بالمهام العظام والأمور الجسام فإنّها أقصى ما تستطيع فعله رفع الشعارات المزخرفة والوعود المزيفة شأن سحابة جوفاء تقصف الأسماع برعدها وتخطف الأبصار ببريقها ولكن لا وجود للمطر.

وبالحرف الواحد كلّ ما يخططه حكّام العرب خلف الكواليس لشعوبهم إنّما هو خداع وتضليل واحتيال في منظور أحمد فؤاد نجم.[٢]

تبدو في النص الشعري السابق نظرة أحمد فؤاد نجم السلبية تجاه الرئيس المصري حسني مبارك واضحة جليّة. آخذاً بنظر الاعتبار أنّ للشاعر قصيدة سياسية نُشرت على معظم مواقع الإنترنت تحمل عنوان (كأنّك لست موجوداً) حيث تهجو عبرها حسني مبارك وعمّاله بلغة ساخرة:

يارئيس نحن تعبانين/ يارئيس سئمنا اللصوص والحرامين/ صَبرنا سنين/ تسيطر سيادتك الأكوان/ وشعبك وناسك يأكل السرطان/ وتختلس أمواله الفئران/ ورغيف خبزهم آخذ بالنقصان/ انهض يارئيس تفترس الذئاب/ ملأت الوهاد والهضاب/ ليس لشعبک طعام ولا

شراب/ احذر العقاب في يوم الحساب/ وأبعدْ عنک يا رئيس الكلاب/ ما يملأعينها غير التراب/ وليس لها ظوافر/ ولاناب/ واقفين لشعبك وراء كل باب (المصدر نفسه: ٣١١).

تسود القصيدة لهجة عنيفة مخزية حيث وصفت حسني مبارك بالرئيس المتعطّش للسلطة والمتهالک على القدرة له عمّال ووُلاة غارقون في نهب ثروات الشعب فلهم بطون ضخمة وكروش منتفخة يفترسون آحاد الشعب كالحيوانات الضارية ولكن من دون المخالب والأنياب. حوّلوا حياة الشعب إلى كابوس مروّع فالنّاس لا يجدون ماء يشربونه سوى مياه ملوّثة ومسمّمة وليس لهم طعام يأكلونه إلّا السمّ الزعاف والسرطان والفكاهة المريرة الّتي نتتبّعها في الشعر السابق أنّ رجال الحكم والعمّال سرقوا أموال الشعب و لم يُبقوا في موائدهم حتّى رغيفة من الخبز فبات الشعب مضطراً إلى أكل الأمراض والأسقام كالسرطان لإشباع بطونهم وإزالة جوعهم ولربّما أراد بذلك الشاعر أنّ الشعب لايرون أمامهم مخرجاً ومهرباً من مآسيهم سوى الموت. ممّا نستشف في القصيدة أنّ الشاعر ينصح الرئيس مبارک بالاعتماد على الشعب ليتمتّع بقدراته الفائقة في الدنيا وشفاعته في الآخرة كما يوصيه بعدم الركون إلى عمّاله الذين يصفهم بالحُثالة والأوباش الذين يتربصون بالثّوار خلف البيوت وكأنّهم كلاب مفترسة تمزّق فريستها إرباً إرباً ولا يُخمد جشعها سوى التراب. وأخذ الشاعر يحذّر الحكومة المصرية من مغبّة الظلم الذي تمارسه في حقّ الشعب المصري ناصحاً إيّاها بالكفّ عن ظلم الشعب كما يوصيها بعدم الاعتماد على عمّالها الذين يخونونها مثلما خانوا الشعب واصفاً إيّاهم بالأوغاد والكلاب والرسالة التي تحويها اللقطة الشعرية السابقة هي أنّ الظروف المعيشية باتت في ظلّ الحكومة المصرية قاسيةً وتتحوّل كلّ يوم من سيّء إلى أسوأ.

٤.٥ الطعن بالتدخل الأجنبي في شؤون البلد

تحمل أشعار أحمد فؤاد في تضاعيفها احتجاجات واسعة على الحضور الأجنبي مصطبغة بصبغة هزلية ساخرة كان أحمد فؤاد يعتقد أنّ أقدام الأجانب لم تطأ أرض البلدان العربية إلّا من أجل سلب خيرات الشعب ولذلك عكف على نظم الأشعار التي تزخر بالتنكيت

والتنديد بالأجانب. ففي إحدى قصائده على سبيل المثال ولا الحصر صوّر عن نيكسون صورة إنسان وضيع لا يستحق أن يرحّب به بينما قامت الحكومة المصرية بتكريمه و ترحيبه أجمل ترحيب:

شرفّت يا نيكسون[٣] بابا/ يا حامي الووتر جيت/ عاملوک أجمل معاملة/ سلاطين الفول والزّيت/ فرشوا لک أوسع سكّة/ من الجيزة[٤] حتّى القاهرة .../ جواسيسک يوم تشريفک/ استقبلوک أجمل الاستقبال/ تحضر مراسيم استقبالک/ المومسات والقتلة والمجرمون (المصدر نفسه: ٢١٤).

فكما نرى في القصيدة أنّ الشاعر خاطب نيكسون بلهجة هزلية يريد احتقاره والاستخفاف به فناداه بـ (بابا) ليوحي إيحاءاً سيميائياً أنّ نيكسون يحاول العبث بالعقول وإثارة العواطف الدينية باستعمال الشعارات الدينية المزركشة فيتصرف وكأنّه حاخام يهودي أو قسّ مسيحي يردّد الأوراد ويتلو التراتيل حتى يغرّر بالأفكار الساذجة ويجعلها تنساق وراء سياسته المخادعة. وفي مناداته بحامي «الووتر جيت» دلالة ساخرة إلى علاقة الرئيس الأمريكي بقضية التجسّس الفاضحة لصورة الإدارة الأمريكية حيث شوّهت سمعتها وجعلت من أميركا بلداً متورّطاً في التنصت على العالم كلّه. ثمّ أشار إلى ترحيب النظام المصري به ترحيباً حارّاً حيث بسط تحت قدميه السجاد الأحمر في البلاد من أدناها إلى أقصاها ثمّ ربط زيارة نيكسون لمصر بقضية التجسّس معتبراً عمّال النظام المصري جواسيس يعملون لصالح نيكسون بداخل البلد. لقد شهّر شاعرنا بالنظام المصري وأياديه وألصق بجبينهم وصمة عار التجسّس لصالح الأجانب فاضحاً النظام المصري لاستقباله نيكسون الذي يمثّل العدو الأكبر للقضايا العربية حيث أقام له حفلة تكريمية لم تحضرها إلّا المومسات والخلعاء والمهرّجون. والدعابة التي نلمسها في سياق الأبيات هي أنّه لا يحمي ولا يوالي النظامَ المصري سوى طغمة من أصحاب اللهو والمجون والجواسيس والعاهرات! ربّما ترمز هذه النقطة إلى أنّ الأنظمة العربية لا تمثّل جماهير الشعب ولا تواليها سوى المستهترين بالخمور وبنات الهوى. لأحمد فؤاد قصيدة أخرى ساخرة شجب فيها تبعية الحكومة للأجانب. لمّا انتهت ولاية الرئيس جانسون وأصبح نيكسون خلفاً له راحت الصحافة المصرية تحتفل بمجيء الرئيس الجديد وتحاول التشهير بالرئيس السابق والاستخفاف

بشخصيته وتسميته بالحمار وعديم العقل وراعي البقر. بينما رحّبت الصحافة بولاية نيكسون وأشادت بعلوّ جاهه ورجاحة عقله:

أ ب ت ث جح/ جونسون° راح/ نيكسون جاء/ وافتنا صحافتنا/ جونسون هذاالحمار/ عقله عقل الصغار/ الّذي يرعى الأبقار/ ويعيش نيكسون لنا/ على طول الأجيال/ نيكسون عال/ ظاهره مثل الأبطال (المصدر نفسه: ٢١٠).

من أبرز الجماليات الشكلية الّتي نرصدها أحياناً في قصائد أحمد فؤاد أنّه يتسهلّ قصيدته بالرموز الّتي تتناغم مع فحوى القصيدة. فكما نلاحظ في المقتطف السابق أنّ الشاعر افتتحه بـ «أ ب ت ث ج ح» من حروف التهجية وربّما هي ترمز إلى الصحف العربية الّتي صبّ الشاعر كأس غضبه عليها إذ يمكن اعتبار هذه الحروف براعة استهلال رائعة وبديعة تشير إلى الحروف الّتي تستخدمها الصحف العربية للكتابة ولا يُستبعد أن يكون الشاعر قد استلهمها من الحروف المقطعة الّتي جاءت في طلائع بعض السوّر القرآنية للتحدّي.

كان لإيران علاقات جيّدة مع مصر أيّام حكم سادات وفي فترة سبقتها بقليل إلّا أنّ هذه العلاقات تعزّزت وبلغت أشدّها في عهد سادات إلى درجة عبّر العاهل الإيراني عن سادات بأخيه الحبيب (شهبازي، ١٣٧١: ١٧٦).

ممّا زاد من علاقة مصر مع إيران فترة حكم سادات أنّه رغم سلفه مال إلى الغرب ميلاً شديداً ولما كانت إيران أقرب حليف لأميركا فبطبيعة الحال أبدت مصر رغبتها لتعزيز علاقتها مع إيران أيضاً. توطّدت العلاقة بين مصر و إيران بدءً من السبعينات من القرن الماضي ومروراً بعهد حسني مبارك و انتهاء بالثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٥٧ (المصدر نفسه: ١٨٢).

صنع أحمد فؤاد فكاهة مقلوبة انتقد فيها علاقة الملك الإيراني مع زعماء مصر فها هي:

المجد للشّاه/ في الأعالي/ وللنّاس المذّلة/ وعلى الأرض/ الخراب/ حبيبک و صاحبک/ و صاحب حبيبک/ كلام كلّه فارغ/ عديم المعاني/ إذا النّذل صاحَبَک/ يصاحبک لِعلّة/ و يُسمعک كلاماً/ ذي كذب الأغاني/ وأنا الّذي اشتريتُ الخسيس/ بالخسارة/ و بعتُ الأصيل/ خلعني الخسيس/ من إصبعه ورماني (نجم، ٢٠٠٨: ٦٩).

نرى أنّ الشاعر بدأ تغريدته بهتاف «المجد للشاه» الذي ردّده السادات وأنصاره عند استقبال الشاه الإيراني في القاهرة مع أنّ الدّمار والخراب قد عمّ البلاد برمّتها. يرى أحمد فؤاد أنّ الصداقة والأخوّة بين الملوك والأمراء أمر مزيف لا حقيقة له طالما أنّه ناجم عن الدوافع الشخصية والمصالح المادية وأنّ ما تتناقله أفواههم محض كذب وخداع.

طلب الشاعر في مستهّل القصيدة المجد كلّه للملك الإيراني المقبور والذّلة كلّها للشعب بأسلوب فكاهي استقاه من الآية الكريمة (الحمدلله) ثمّ يتطلع إلى هدم الحكومة البهلوية الظالمة ولهجته مازالت ساخرة على سبيل الفكاهة المقلوبة فإنّ شاعرنا يريد الاستهزاء بالشّاه الإيراني وجلاوزته وكلّ من له علاقة الصداقة والتآخي من الملوك العرب ومن أبرزهم أنور السادات وحسني مبارك من أكبر حلفائه وأصدقائه. ثمّ لفت أحمد فؤاد انتباهنا إلى نقطة هامّة هي أن الملوك العرب الّذين يتودّدون إلى الشاه الإيراني ليسوا صادقين ومخلصين في إبراز ودّهم له بل إنّهم يطمعون في الوصول إلى مصالحهم التي يجدونها لدى الاقتراب إلى الملك والتواصل معه. ثمّ وصف أحمد فؤاد الملوك العرب ولاسيّما الرئيس المصري أنور سادات بالكذب واللّؤم مشيراً إلى خطأ المصريين الفادح في الثّقة به والتّعويل عليه معبّراً عن السادات بالخسيس واللئيم وعن بلد مصر بالأصيل ويريد بذلک أنّ الشعب المصري بما فيهم الشاعر خسروا بلدهم الحبيب لّما بايعوا الرئيس سادات إذ أنّ الرئيس سرعان ما خذل البلد والشعب عندما تسلّم مقاليد الحكم فكأنّه عمروبن عاص الّذي نزع خاتمه من إصبعه ليرمز بذلک إلى خلع الإمام علی (ع) عن الخلافة.[٦] وفي هذا التلميح إشارة إلى المكر والغدر الذي مارسه سادات بحق الشعب المصري حيث شبّهه شاعرنا بعمروبن العاص الذي كان يمثّل معاوية في القضية التي سُميت في التاريخ بالحكمية وآل الأمر فيها إلى أن غلب عمروبن العاص على خصمه أبي موسى الأشعري الذي يمثّل الإمام علي (ع) بخداعه وتضليله ممّا أدّى إلى عزل الإمام (ع) عن الخلافة وتنصيب معاوية مكانه. والدلالة السيميائية التي تحتويها القصيدة هي أنّ القادة المصريين ليسوا زعماء الشرعيين وحقيقيين ماداموا فازوا بالحكم عن طريق الانقلاب العسكري أو التحايل على الدستور. من الجدير ذكره أنّ الشاعر استفاد من آلية بيانية

خلقت أجواء مليئة بالتضامن والتكاتف وهي أنّه تحدّث بصيغة المتكلّم (اشتريت وبعتُ وخلعني ورماني) كي يلمح إلى أنّه لا يعيش داخل جدران القصر المزخرفة بعيداً عن المواطنين بليسير مع سائر الروّاد والطلائع يحثّ ضمن الصفوف الأمامية وربّما أراد أحمد فؤاد أن يرسل بذلک الأسلوب رسالة أخرى إلى شعبه هي أنّ الشعب المصري بما فيه الشاعر هو المسئول عن الأوضاع السيئة التي يمرّ بها البلد لالتزامه الصمت المطبق أمام حكم متغطرس.

٦. النتيجة

١. اختار أحمد فؤاد ما يتلمسه على الساحة العربية من الأحداث السياسية والاجتماعية مادّة لفكاهته ومنها: الظروف المعيشية السيئة وسوء الأحوال الاقتصادية الناتجة عن فساد الحكومات وعدم امتلاكها للكفاءات اللازمة وغياب الحريات المدنية وسوء معاملة السلطات الحاكمة مع المواطنين والهزائم الفظيعة الّتي منيت بها الحكّام العرب في غضون الحرب ضدّ الصهاينة والتدخّل الأجنبي السافر في الشؤون العربية وتبعية الزعماء العرب للأجانب والتجسس لصالحهم والنفوذ الواسع للأمريكان في الشؤون المصرية من أمثال «جانسون» و«نيكسون» وتحالف الرئيس المصري مع الدكتاتور الإيراني، الشاه المعدوم وما شابه ذلک من القضايا الّتي عاشتها وعاصرتها شاعرنا هي من أهمّ المضامين الواردة في قصائده الساخرة.

٢. يرى أحمد فؤاد أنّ مصائب العالم العربي بشكل عامّ ناجمة عن أسباب ثلاثة: أ) الأنظمة العربية الدكتاتورية لا تولي اهتماماً لمصالح شعوبها؛ ب) والفساد المستشري في هيكلة الأنظمة المتآكلة وخنوعها واستسلامها لأسيادها الأجانب؛ ج) الصمت الرهيب والسكوت الجنائزي الّذي سيطر على الشعوب العربية وعدم وقوفها في وجه الحكّام وعدم مطالبتها بحقوقها؛ د) توسع النفوذ الأجنبي في القضايا العربية ودبيب الضعف والانهيار في الأنظمة العربية. ولقد تطّرق أحمد فؤاد إلى هذه القضايا وعبّر عن آراءه ومواقفه تجاهها بلغة ساخرة ونقد لاذع.

الهوامش

١. هو المطرب والفنّان والمغني المصري الشهير في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي توفّي في عنفوان شبابه إثر إصابته بداءٍ عضال.

٢. لا يخلو هذا الرأي من بعض القسوة والإجحاف ربما يوجد بين حكام العرب من لا ينطبق عليه هذا الحكم.

٣. نيكسون: هو ريتشارد نيكسون (٩ ژانويه ١٩١٣، كاليفرنيا، ٢٣ آوريل ١٩٩٤، نيويورک) السياسي الشهير والرئيس للولايات المتحدة الأمريكية ١٩٦٩-١٩٧٤.

٤. الجيزة: ترمز إلى مصر القديمة حيث تقع فيها الأهرام الثلاثة كما تمثّل القاهرة مصر الجديدة.

٥. جانسون: هو آندرو جانسون الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية أثناء ١٨٦٥-١٨٦٩.

٦. في هذا التشبيه إشارة لطيفة إلى قضية تاريخية وقعت أيام حكم الإمام على (ع) نزع فيها عمروبن العاص أثناءها خاتمه من إصبعه ثم قال مقولته الشهيرة هي: إنني خلعت الأمام علياً من الخلافة كما نزعت هذا الخاتم من إصبعي.

المصادر

آرين‌پور، يحيى (١٣٨٢ ش). *از صبا تا نيما*، ج ٢، تهران: زوار.

أميري، جهانگير وآخرون (٢٠١٥ م). «التوظيف السياسي والاجتماعي للفكاهة في العصر المملوكي»، *مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)*، العدد ١٦.

أنس، وئام (٢٠١٠ م). *الفكاهة والسخرية في الشعر المصري*، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

باقريان بستان‌آباد، الهام (١٣٨٧ ش). «طنز در شعر معاصر»، *فصل‌نامه ادبيات فارسى*، س ٤، ش ١٢.

التميمى، حمادى (د.ت). *الفكاهة في الشعر التونسي*، تونس: دار بوسلاقه للطباعه و النشر و التوزيع.

الحوفى، احمد محمد (١٩٦٦ م). *الفكاهة فى الأدب و أصولها و أنواعها*، القاهرة: دارالنهضة.

ذوالقدر، ميمنت (١٣٧٣ ش). *واژه‌نامه هنر شاعرى*، تهران: كتاب مهناز.

زينى‌وند، تورج (١٣٩١ ش). «طنز تلخ در شعر پايدارى فلسطين، مطالعه مورد پژوهش: شعر راشد حسين»، *فصل‌نامه نقد ادب معاصر عربى*، دانشگاه يزد، س ٢، ش ٣.

شهبازى، عبدالله (١٣٧١ ش). *ظهور و سقوط سلطنت پهلوى* (به روايت تيمسار حسين فردوست)، طهران: مؤسسه اطلاعات.

شوقي، ضيف (۱۹۹۱ م). *الفكاهة في مصر*، القاهرة: دار الهلال.

صادق‌زاده، محمود (۱۳۸۹ ش). «بررسی گونه‌ها و شیوه‌های طنزپردازی حافظ»، *فصل‌نامه پژوهشی تحقیقات زبان و ادب فارسی دانشگاه آزاد اسلامی واحد بوشهر*، دوره جدید، ش ۲.

قزیحه، ریاض (۱٤۱۸ ق). *الفكاهه فی الأدب الأندلس*، بیروت: دارالمکتبه العصریة.

معروف، یحیی (۱۳۸۸ ش). «شیوه‌های کاربرد طنز در تصاویر فکاهی احمد مطر»، *مجله علمی پژوهشی انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی*، دانشگاه تربیت مدرس، ش ۱۰.

نجم، أحمد فؤاد (۲۰۰۸ م). *الأعمال الشعرية الكاملة*، بیروت: دار العودة.

نعمتي، فاروق (۱۳۹۱ ش). «التحامق في الشعر المملوكي»، *الجمعية الإيرانية للغة العربيـــة وآدابهـــا*، العدد ۲۲.

الورقی، سعید (۱۹۸٤ م). *لغة الشعر العربی الحدیث*، بیروت: دارالنهضة العربیة.

یاوري، مریم (۱۳۹۲ ش). «جلوه‌های ادب و پایداري در شعر أحمد فؤاد نجم»، جامعة رازي.

www.khabaryaab.com
http://ar. wikipedia.org

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی